

روح المعاني

فى إلام وعلام وحتى م بالألف مالم يوقف على م بالهاء ولكن السؤال كما علمت طابقه الجواب بقوله تعالى قالوا كنا مستضعفين فى الأرض وإلا فالظاهر فى الجواب كنا فى كذا أو لم نكن فى شيء والجملة استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل : فماذا قال أولئك المتوفون فى الجواب فقل : قالوا فى جوابهم : كنا مستضعفين فى أرض مكة بين ظهرانى المشركين الأقرباء .

والمراد أنهم اعتذروا عن تقصيرهم فى إظهار الإسلام وإدخالهم الخلل فيه بالاستضعاف والعجز عن القيام بمواجب الدين بين أهل مكة فلذا قعدوا وناموا أو تعللوا عن الخروج معهم والانتظام فى ذلك الجمع المكسر بأنهم كانوا مقهورين تحت أيديهم وأنهم فعلوا ذلك كارهين وعلى التقديرين لم تقبل الملائكة ذلك منهم كما يشير إليه قوله سبحانه : قالوا أى الملائكة ألم تكن أرضاً واسعة فتهاجروا فيها أى إن عذرکم عن ذلك التقصير بحلوكم بين أهل تلك الأرض أبرد من الزمهير إذ يمكنكم حل عقدة هذا الأمر الذى أحل بدينكم بالرحيل الى قطر آخر من الأرض تقدررون فيه على إقامة أمور الدين كما فعل من هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة أو إن تعللکم عن الخروج مع أعداء الله تعالى لما يغيط رسوله صلى الله عليه وسلم بأنكم مقهورون بين أولئك الأقوام غير مقبول لأنكم بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنون من المهاجرة عن مجاورتهم والخروج من تحت أيديهم فأولئك الذين شرحت حالهم الفطية مأواهم أى مسكنهم فى الآخرة جهنم لتركهم الفريضة المحتومة فقد كانت الهجرة واجبة فى صدر الاسلام وعن السدى كان يقول : من أسلم ولم يهاجر فهو كافر حتى يهاجر والأصح الاول أو لنفاقهم وكفرهم ونصرتهم أعداء الله تعالى على سيد أحيائه E وعدم التقيد بالتأييد ليس نصا فى العصيان بما دون الكفر وإنما النص التقيد بعدمه واسم الإشارة مبتدأ أول و مأواهم مبتدأ ثان و جهنم خبر الثانى وهما خبر الأول والرابط الضمير المجرور و امجموع خبر إن والفاء لتضمنها اسمها معنى الشرط وقوله سبحانه : قالوا فيم كنتم فى موضع الحال من الملائكة وقد معه مقدرة فى المشهور وجعله حالا من الضمير المفعول بتقدير قد أولا ولهم آخرا بعيد أو هو الخبر والعائد فيه محذوف أى لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما فى خبره ولايصح جعل شيء من قالوا الثانى والثالث خبرا لأنه جواب ومراجعة فمن قال : لوجعل قالوا : الثانى خبرا لم يحتج الى تقدير عائد فقد وهم وقيل : الخبر محذوف تقديره هلكوا ونحوه و تهاجروا منصوب فى جواب الاستفهام وقوله تعالى : وساءت من باب بئس مصيرا والمخصوص بالذم مقدر أى مصيرهم أوجهنم .

واستدل بعضهم بالآية على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن فيه من إقامة دينه وهو مذهب الإمام مالك ونقل ابن العربي وجوب الهجرة من البلاد الوبيئة أيضا وفي كتاب الناسخ والمنسوخ أنها كانت فرضا في صدر الاسلام فنسخت وبقي نديها وأخرج الثعلبي من حديث الحسن مرسلا من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد قدمنا لك ما ينفعك هنا فتذكر إلا المستضعفين استثناء منقطع لأن الموصول وضائره والإشارة